مصحف أحمر رواية جغرافية

علي أحمد الزجاني

● من خلال تصفحي لرواية مصحف احمر للروائي محمد الغربي عمران، تأملت مندهشا قدرته على مزج الماضي بالحضر في شخصيات ملهمة، معالجا قضايا الحاضر السياسية والاجتماعية، باستدعاء أحداث الأمس.. في عمل روائي خلاق.

إن الإبداع ابتكار مستمر باستمرار بقاء الإنسان على هذه البسيطة، قلم يلون أحلامه، ليحرك الأحرف الصامتة صورا حية تعشق بها الحياة .

لقد رسم الغربي عمران في روايته شخصيات نامية لها دورها المحوري وشخصيات ثانوية غاية في التناقض بأسلوب فني رائع، فـ«سمبرية» شخصية رئيسية نامية، تبدو للوهلة الأولى بأنها امرأة بسيطة ، لكننا ومع التوغل في صفحات الرواية التي تقارب الثلاث مئة وخمسين صفحة- طبعة بيروت. رياض الريس- نكتشف بأنها شخصية مركبة.. تحمل في أعماقها عدة أوجه، فهي شخصية بسيطة تعيش في الريف ، يقع قلبها في حب قلق.. ثم تظهر تلك الشخصية بنقيض ذلك حين تدفعها الأحداث والصراعات السياسية والاجتماعية، لترحل من القرية إلى صنعاء، لتكون غير تلك الفتاة التي عرفناها في بداية صباها.

الرواية تبدأ أحداثها من عام ٢٠٠٠ في لحظات وداع «حنظلة» الابن الوحيد للأسرة والمغادر إلى بغداد لدراسة الطب، ثم بعد ذلك يعود بنا الكاتب إلى أواخر السبعينات، مستدعيا زمن التشطير والاحتراب بين صنعاء وعدن، مصورا للقارئ أجواء ما عاشه الفرد اليمني على الحدود بين الشطرين أو في المناطق التي كانت تحت سيطرة الجبهة الوطنية المدعومة من عدن.. وكذا يبين لنا حال النظام المهترئ في صنعاء ، المعتمد على دعم دول الجوار في صراعه مع عدن اليسارية.

يسلط الغربي عمران الضوء على تلك الأسرة ، كنموذج مصغر للمجتمع اليمني، أسرة مكونة من ستة أفراد الجد الذي يقضي عمره في صراع مع الأفكار المتخلفة، يودع في السجن سنوات طوال، وسمبرية زوجة ابنه تُبعه، وحنظلة الابن الشاب لتبعة وسمبرية. إضافة الى عدة شخصيات ثانوية .

تلك الأسرة تعاني من ويلات الاحتراب والصراعات السياسية بين الشطرين.. فالجد يلحق ليسجن بتهمة الزندقة.. والابن تبعة يهرب إلى الجنوب ملتحقا بصفوف الجبهة الوطنية هاربا من تهمة قتلة الشيخ ،والابن يسافر ليدرس الطب في بغداد ليعيش أحداث احتلال العراق من قبل القوات الإمريكية، ليعود إلى اليمن بعد ست سنوات وقد أضحى عنصر من عناصر القاعدة. أسرة مشتتة.

إن رواية مصحف احمر هي رواية العشق والحرب، رواية تقدم لنا التاريخ الاجتماعي والسياسي لفترة من اعقد فترات التاريخ اليمني المعاصر. بل أن الغربي يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك.. حين يطرح عدة أسئلة من خلال الحديث بين سمبرية وابنها حنظلة، حول أصول سكان جنوب شبه جزيرة العرب.. مرورا بتعدد الديانات وتعاقبها عليها من وثنية إلى يهودية ومسيحية وديانة إسلامية.

لقد أبدع لنا الغربي عمران عملا روائيا ممتعاً.. وأستسمح القارئ في إيراد ماقاله الدكتور عبد العزيز المقالح حول مصحف الغربي « محمد الغربي عمران في رواية الموسم.

كثيرا ما تساءلت الى متى سيظل الكاتب المبدع الغربي عمران يكتب القصة القصيرة والطويلة فقط، ومتى يقتحم عوالم الرواية؟

واذا به يفاجئني ويفاجئ الجميع بهذا العمل الروائي البديع المبهر «مصحف احمر» الذي يدخل دون مبالغة فيما يمكن تسميته بالتأسيس الحقيقي لكتابة الرواية العربية في اليمن بكل شروطها الموضوعية والفنية».

ولا يتسع المجال هنا لاقتطاع المزيد مما كتب عن الرواية في صحف عربية عدة كالحياة والقدس واليوم السابع المصرية وصحف عربية أخرى، للدكتور المقالح ودكتورة شهلاء العُجيلي من سوريا ولعبد الدائم السلامي من تونس، ولأحمد المؤذن من البحرين أو ما كتبه الكاتب السوداني الفاتح حمدتو والناقد المصري محمود محمد عطية وغيرهم من الكتاب المغاربة .. أو ما كتب محليا هنا في اليمن حولها.

لقد توفق الكاتب في اختيار مسرح روايته ، حين جعل مسرح الأحداث يمتد من الأرياف اليمنية إلى مدنها، إلى الحدود الملتهبة بين الشطرين وما خلفت تلك الحروب من مآسي وجرائم حرب وتنكيل تعرض لها المواطن اليمني جراء الصراع الشطري الذي أمتد أثاره حتى قيام الوحدة اليمنية في عام ٩٠.

لقد أجاد الغربي بمعالجته لقضايا اليمن وأحداث ما قبل الوحدة، وما كان يعانيه المواطن اليمني من خوف وتشرد وتمزق وجداني، مستعرضا ويلات الصراع في المناطق الملتهبة «المناطق الوسطى» التي كانت تحت سيطرة عناصر الجبهة الوطنية ذات التوجه اليساري والذراع العسكري للسلطة في عدن، حيث نشطت في المنطق الوسطى من مرتفعات جبلية تمتد من الضالع والشعيب ومريس ودمت والعود والرياشية حتى عتمة ووصابين وشرعب ،بل أن نفوذها أمتد إلى محيط صنعاء لتهدد العاصمة بالسقوط، وإعلان دولة الوحدة منها بين الشطرين بنكهة اشتراكية، الأمر الذي دفع دول الجوار» السعودية» وبإيعاز من الدول الغربية وعلى رأسها وعلى رأسها ميركا لدعم صنعاء بالمال والسلاح لدحر حلفاء عدن الذي تقف خلفهم دول الكتلة الاشتراكية ممثلة بالإتحاد السوفيتي.

لقد أبرزت الرواية ذكر بعض القيادات والرموز المتحكمة في سير الأحداث.. مثل: علي عبدالله صالح، علي سالم البيض، عبد الفتاح إسماعيل، علي ناصر محمد وغيرهم ممن كان لهم التأثير القوي على سير أحداث الصراع بين الشطرين. وقد جسدت لنا الرواية المآسي التي تعرض له الشعب اليمني من خلال تلك الأسرة التي عاش إفرادها مشردين ومطاردين يتعقبهم الموت في أماكن متفرقة ابتداء بحصن عرفطة في ريف نائي ،مرورا بالسجون والمعتقلات فرارا إلى الجبال العالية والاختباء في مغارات الجن، إلى التخفي في المدن خوف القتل.

حتى تصل الرواية في ذروة أحداثها وتطور شخصياتها إلى ليلة إعلان الوحدة اليمنية في مايو ١٩٩٠من عدن.

لتستقر أوضاع اليمن بعد الوحدة ، لكن أفراد تلك الأسرة ظلوا مشتتين، يلاحقهم الخوف، فالجد في سجون السلطة بصنعاء من سنوات التشطير وما بعدها، وحنظلة الابن في العراق وقد انقطعت أخباره نتيجة للحرب على العراق، وتبعة الزوج فضل البقاء في عدن خوف الثأر من أسرة الشيخ المتهم بقتله قبل الوحدة، وسمبرية الأم تعيش مأساتها في صنعاء وحيدة إلا من بعض الصديقات من الجيران، تعيش على أمل عودة أبنها ، وخروج أب زوجها من السجن، ووصول زوجها من عدن الذي لم تكن تعلم بأنه قد تزوج بغيرها هناك وأستقر بعيدا عن خوف القتل.

وهناك شخصيات في المستوى الثاني تظهر لتختفي بين صفحات الأحداث ، يستدعيها الكاتب متى يريد ، مثل: شيخنا،مولانا، خمينة، ناجي، شخنما، فاطمينا،وشرهان. إضافة إلى شخصيات في المستوى الثلث وبعضها دون أسماء.

لقد أجاد الغربي عمران في مصحفه الأحمر بتصويره نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية.. إضافة إلى استدعائه للتاريخ القريب والبعيد بين فصول الرواية التي وصلت إلى الثلاثين فصل، والربط بينهما من خلال الأحداث التي تتطابق في تكرار التاريخ البشري.. مفسحا المجال للمرأة حين تصل إلى ذروة العطاء لتجود لوطنها بأعز ماتملك :الزوج والابن والنفس.

وفي مصحف أحمر يبرز دورها المتعاظم من خلال عدة شخصيات فاعلة: سمبرية.. شخنما.. فاطمينا.. فهي المرأة الضعيفة والرقيقة.. وهي في مواقف أخرى المناضلة والمقاتلة.. وهي الرقيقة وهي الصلبة.

فقد تجلت في مصحف أحمر: بالحب والوفاء ..والشفقة والرحمة.. وهي المعانية لفراق زوجها وابنها.. وهي من كانت تجمع المعلومات الإستخباراتية وترسلها للمناضلين على قمم الجبال.. وهي الباحثة خالها والد زوجها الذي غيبته السجون.

وهي المرة الأولى التي أقراء روية جغرافية.. فأنا حين قرأتها شدني المكان أو تعدد الأمكنة وحضورها الطاغي.. بل أجزم أن المكان في هذا العمل الروائي البديع وصل إلى أن يكون أبرز الشخصيات .. أي أن ذلك الوصف الدقيق للأمكنة ريفا ومدينة.. قد وضعنا أمام تجربة جديدة يمكننا وصف هذه الرواية بالرواية الجغرافية.. تميزا عن الرواية التاريخية أو الفلسفية.. أو الرواية السياسية.

وفي الختام فليسمح لي القارئ الكريم أن أنهي مقالتي هذه بعد قراءتي الأولية لمصحف الغربي عمران بفقرة موجزة ، قد يعد الكاتب مقلدا في مصحفه الأحمر لمن جاء قبله من الروائيين العرب من حيث إجادته لعناصر الرواية من: شخصيات ومكان، وزمان، ووصف. لكنني أجد تفرده عمن سواه في نواحي عده أذكر منها، م التحليل العميق لشخصياته ، وكذلك إبراز بيئة المكان الجغرافي بكل أبعاده، حيث كما ذكرت سابقا يمكن للرواية هذه أن تفتح الباب على مصراعيه لكتابة الرواية الجغرافية، كون الكاتب أجاد تقديم الجغرافية المكانية لإحداث الرواية بشكل غير مسبوق ، إضافة إلى قوة اللغة التي أجادها الكاتب ، ما جعله يمزج في جمله القصيرة بين الشاعرية ولغة الصحافة التي تقف بين العامية والفصحى.

هذا ما وددت قوله في قراءتي الأولية.. كتحية لرواية رائعة.. واعد قارئي العزيز بكتابة دراسة نقدية مستفيضة تليق بمقام هذا العمل الروائي المتميز.

جامعة ذمار

ولادة الموت

أحمد غبير

في ليلة
والموت يعزف لحنة عطراً برائحة الألم
في الكون كيما ينثره..
يتلو سجل العابرين إليه
والآفاق.. حزناً.. ممطراً
كانت قطارات الرحيل تضج سيراً في السماء.
والأنجم الخرساء أرواح مسافرة
حملت حقائبها وأغمضها الرحيل
كان السكون الجهم يبتلع الصدى
والصمت يندى فوق أوراق الشجر
وهناك برزخ غيبة..
هل شاطئ من خلفه يلد الوجود،
دنياك درب الآخرة.
-٢-
في ليلة
ميت نبا عن مقبرة
وراح ينفض التراب
ويبصر الأضواء
يلحظ النسيم والنجوم والأشياء.
ويرقب السماء
ليرى خيول الليل صامتة
تجر خطى المساء.
وتنفض الغبار عن أحلامه
والذاكرة.
أحلامه شمس وبحر عامر المعنى
وبالأمسيات المقمرة
لقارب تلهو به أمواج ليل ساخرة
ومات قبل يبصره
ورأسه في كفه، يقلب الأحلام
تسترخي خبوت الذاكرة
ليست سوى جمجمة
مفقوءة العينين يطفئها الصمم
سيقال – رجماً – إنه:
شبح يعريه الزمن
لم يعترف أحد به
مهما يبدل جلده ذهباً
وعظامه من فضة
لم يعترف أحد به
أو كانتا عيناه أجمل غابتين تبرجت
لن يأتين لها أحد
يئس الغريب الميت،
مل، من الفجاجة ،منظرة
ورمى بحلم قصيدة
ولدت كأجمل خنجر
يدمي فضاء الذاكرة.

علي بن تميم: الروح الإبداعية.. جفّت لدى العرب

أبوظبي – أ ف ب

أجرت «وكالة فرانس برس» حواراً مع الناقد والباحث الإماراتي علي بن تميم مدير مشروع «كلمة» التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث. والحوار الذي دار حول قضايا الكتاب والترجمة ذو طابع سجالي ويفتح الباب أمام نقاش جدي لا بد من إثارته اليوم. واستهل بن تميم حواره قائلاً إنّ :»السياسة والأفكار تشكل عائقاً كبيراً أمام توزيع الكتاب في العالم العربي سواء كان إبداعاً محلياً أو مترجماً عن لغات أجنبية».

ورأى أن «العرب ينظرون إلى الكتاب بريبة. فنحن نواجه تحديات جمة على صعيد توزيعه، وأتمنى أن يخرج السياسيون العرب من جمودهم وأن يفتحوا المجال أمام حركة النشر والتوزيع والترجمة».

وأضاف: «نحن في مشروع «كلمة» المخصص للترجمة لم نصل للأسباب التي تعود إلى مثل هذا الجمود السياسي والنظرة القائلة إنه علينا ترجمة الكتب التي لا تتعارض مع تقاليدنا وعاداتنا، الأمر الذي يناقض هدف الترجمة وهو التعرف على الآخر المغاير. وهذا هو الهدف من تأسيس مشروع كلمة».

وأوضح أن «هناك أيضاً أسباباً أخرى، من بينها العجز عن تشكيل شركة توزيع عربية قادرة على توصيل الكتاب إلى القارئ العربي بسرعة وبسعر جيد، على الرغم من المحاولات المتعددة ومن بينها محاولة مع ناشرين عرب لتشكيل شركة توزيع مساهمة. وطرح الموضوع قبل ثلاث سنوات وما زال البحث فيه قائماً».

ويرى أن «القارئ العربي لدينا هو نفسه أيضاً. ولا تتوافر الدراسات حول توجهاته وسبب تجاهله الكتاب ولجوئه إلى التلفزيون. وإذا ما كان قارئاً ملتزماً، ما من دراسات تشير إلى الكتب التي يميل إليها والنوع الذي يشغل اهتماماته من كتب أدبية وعلمية وفلسفية وغيرها من الإبداعات الإنسانية».

وأكد بن تميم أن «الروح الإبداعية جفت لدى العرب. فهناك ٤٠٠ مليون عربي لا يجدون ذواتهم الحقيقية لتطوير طاقاتهم البحثية والإبداعية. ونحن حتى الآن ما زلنا نتداول مجموعة من الشعراء والروائيين الذين لم نتجاوزهم، في حين أنه لو استطعنا إنجاز قضايا التوزيع فإن من شأن ذلك حتماً أن يحرك الإبداع ويشجع المبدعين على زيادة إبداعاتهم».

وأبدى بن تميم انزعاجه من «عدم وجود شفافية لدى الناشر العربي في تقديم إحصائياته لمعرفة الحجم الحقيقي للقراءة في العالم العربي، وذلك التفافاً من بعضهم على حقوق المؤلف. فهو يطبع ثلاثة آلاف نسخة لكنه لا يقدم أي مؤشر في ما يتعلق بطبعات أخرى. وهذا يستلزم إعادة التأكيد على حقوق المؤلف إلى جانب شفافية الناشر الذي يعتدي على هذه الحقوق».

واعتبر أن «كل هذه العوائق تقف حاجزاً أمام تحقيق مشروعات الترجمة الكبرى التي تعتمد على نفسها بتمويل نفسها. فنحن في مشروع كلمة لم نصل حتى الآن إلى تحقيق ٢٠ في المئة من طموحاتنا من حيث التمويل الذاتي وإيصال ما نقوم بإنجازه إلى القارئ العربي على نطاق واسع».

وعن مشروع «كلمة» المتخصص في نشر الكتب المترجمة عن اللغات العالمية وعلاقته بمراكز عربية أخرى تحمل التوجهات نفسها، قال :»لا مانع لدينا من التنسيق مع كل المراكز العربية، إلا أن مثل هذا التنسيق ما زال غير قائم. وهنا تجدر الملاحظة إلى أن كل واحد من هذه المشاريع الكبيرة اتجه إلى تخصص يهمه اكثر».

وشرح: «على سبيل المثل، المركز القومي للترجمة في مصر يركز كثيراً على ما بعد الحداثة ودراسات ما بعد الاستعمار في النقد والفلسفة والأدب، في حين نميل نحن إلى نوع يأخذ مجالات مختلفة تتراوح بين ما قبل الحداثة وما بعدها. هنا قد يسجل اختلاف في التوجهات التي تعتمد على ذائقة القيمين على قيادة هذه المشاريع».

وأشار إلى أن «هذا التنوع في الرؤية يجعل إمكان التضارب بين المشروعات العربية للترجمة غير وارد، خصوصاً وأنها كلها تحترم حقوق المؤلف وهذا ما يلغي إمكان التعارض. بالطبع نأسف لبعض المشاريع التي لم تستكمل في بعض الدول العربية، فواحدة من مشاكل الترجمة هي المحافظة على استدامة المشروع».

باسم: رحلة النقاء والعذاب والصبر الجميل

عبدالرحمن سيف إسماعيل

● توقف قلبك ياباسم وأنت واقف .. توقف روحك وأنت متوثب للفداء .. شامخاً شموخ الجبال .. كانت شفتاك تحتضن ابتسامتك الرائعة، وكانت كل الأفواه تبتسم لك كما تبتسم تعز الحالمة لحضن صبر، وتبتسم عدن لحضن شمسان، وصنعاء لنقم وعيبان .. وكما ابتسمت اليمن من أقصاها إلى أقصاها لروابيها الخضراء، ولانتصار إرادة الشعب في التغيير.

كنت محدقاً يا باسم ومزهواً بكل الابتسامات .. ظلت الابتسامة تزين محياك حتى وأنت تغادرنا إلى جنة الخلد، والبقاء الأزلي .. كنت مبتسماً .. ضاحكاً .. وكانت عيناك تجولان في وجوه محبيك حتى وأنت تنزل مسكنك الأخير .. قبرك الوحيد .. كأنك كنت مطمئناً لصفحة أعمالك الناصعة .. وهذه حقيقة .. فأنت على الأقل لم تظلم أحداً .. ولم تقهر أحداً .. لم تسخر من متسول، ولم تغضب من جاهل، ولم تقهر يتيماً .. كنت ياباسم جميلاً .. كنت سامي النفس والروح .. كنت ملاكاً في عباءة البشر .. كنت رائعاً .. حيوياً .. بشوشاً..

تجمّدت الروح في عروقك .. وتطايرت لتعانق كل الأرواح الحية.

وداعاً أيها الحبيب المسافر إلى الله .. وداعاً أيتها الروح الثائرة .. المتمردة على الرذائل والأفعال الذميمة .. فالزمان أيها الخالد أبداً عشق روحك .. النفس السامية عشقت بدنك .. والأرواح الطاهرة عشقت روحك .. ولهذا صرت ذاتنا .. روحنا .. طهارة أجسادنا ونقائنا.

إليك آتٍ، وإليك أصرخ .. أحاكي البسمة في فمك .. أحاكي روحك .. حيويتك أيها الخالد الآتي من جوهر القلب .. من مدن النار نوراً .. وضوءاً ومجداً .. ومن وحي الظلمات وحياً وملكاً .. إليك أيها العاشق الذي مسحت بشالك جبين الشمس من كآبة الليل الجاثم الطويل .. في رحلة الظلم والقهر الأبدي.

لتظل الشمس .. شمسك، والضياء ضياؤك .. ولتظل كما كنت تضيء جنبات روحك الوهاجة.

إليك أيها الحبيب الغالي، وإلى كل دم نقي سال على هذه الأرض الطاهرة .. إلى الروح السامية التي صعدت إلى السماء .. إلى القمر الذي مازال سامياً ينير ظلماتنا.. إليك ياعاشق الحرية .. ياموطن الجمال والبهاء .. إليك يا من تعلمت منك الصبر والحب والسمو وتعلمت منك كيف ينبغي أن أكون .. إليك كل هذا الوجع والصبر والشجن .. ومن أجل أن تظل في قلوبنا .. قريباً من أوجاعنا .. أقسم لك على هذا العهد .. أقسم بشرف الحرية، وبشرف الليمون والياسمين .. بشرف السنابل والخبز بأنك لم تمت، وأنك خالد في قلوبنا .. في أرواحنا .. في غنائنا .. في جفوننا .. في أحلامنا .. في عشقنا .. في أرضنا .. في سمائنا .. ونقسم أن لا ننساك لأنك آخر من تبقى من علم أبيك المستشار التربوي .. من عمك المهندس الذي سجل خلوده فيك ورحل .. من جدك العالم .. العارف بشريعة الله .. من أرواحنا .. من دمنا .. من كل عين بكتك .. من كل صديق أمطرت عيناه دمعاً حزناً على فراقك.

إليك يامن كتبنا اسمه من خيوط الفجر، ومن نسيج الروح، ومن همسات الحرير.

من أجلك أيها الصديق هذا البكاء .. ومن أجل روحك نكتب دموعنا حزناً عليك .. من أجل روحك .. من أجل قلبك .. من أجل جمالك .. ومن أجل أن يظل روحك الوفي يحرك أوجاعنا.

بكتك عيوننا .. أرواحنا .. بكاك الحنين، وأبكاك الشوق، وبكيتك السنين القليلة المعطرة التي أقمتها بيننا بعطر الياسمين والزعفران، وألم الفراق.

بكينا فيك الجمال .. وندبنا فيك الأدب الرفيع، والفضائل التي رحلت معك..

بكيناك أيها الزمن الموغل بالحنين .. في صروحنا.. في أغانينا .. في أمانينا .. في غابات كمدنا .. أحلامنا..

باسمك ياباسم .. باسم ألف أغنية .. باسم التراتيل الحزينة .. وباسم كل الشعاب أن تظل بيننا قمراً وسراجاً منيرا .. فما أكثر نورك .. وما أروع سماءك .. وما أروع الليل حينما تتكبده نوراً لتضيء دروبنا ودروب زمننا هذا الأسود والأشد قتامة .. سيما حينما حملتك الأيادي البيضاء على النعش .. وتسابق المشيّعون لترديد تراتيل التشييع .. (لاإله إلا الله .. باسم حبيب الله).

دفناك في ثراء الأرض التي أحببتها، وظل نورك ساطعاً، واسمك مدوياً، وذكراك عاطرة، وفضائلك مغدقة، وروحك تحلق في الآفاق .. تنشر درر الخير والحب والبركات.

أعذرني باسم أني أخفيت عنك مخاطر مرضك التي هي أمراضي .. أتعاب قلبك كما هي أتعاب قلبي .. عندما وجدتك فور عودتك من رحلتك العلاجية .. كنت حيوياً .. بشوشاً .. مبتسماً .. سعيداً ظننت أنك لن تموت .. فكيف يموت شخص أحببناه أمثالك .. كيف يموت شخص بهذا الجمال، وبهذا السمو، وبهذه الصفات الجميلة .. كنت صديقي ومعي كل الأصدقاء لا نظن مطلقاً أننا سوف نودعك عما قريب .. ولكن النبأ الكظيم جاء إلينا مهطعاً على عجالة .. مفاده أنك قد توارريت عن أنظارنا في مشهد تراجيدي حزين .. فانفجرت باكياً .. ضجراً .. كظيماً..

سيما عندما نظرت إلى وجوه جميع محبيك .. فهمي، ونوفل، وهاشم، وغيرهم الكثير والكثير .. وهم يبكونك حزناً وكمداً .. إنه القدر وحكمة الله في عباده.

فعلاً أيها الإنسان المتميز لم نكن نتخيل أنك ستفارقنا .. ستغرب عنا بهذه الطريقة، وبهذه القسوة، والسرعة، وأنت من علمتنا الانتظار، والصبر على المكائد، وعدم الاكتراث، والتريث في اتخاذ القرارات.

آه .. آه .. لقد غادرتنا ياباسم بهدوئك المعتاد .. بصمتك الدائم الرهيب.. قيل لنا بأنك لن تعود، وأننا لن نراك ثانية، وهذا هو ناموس الكون .. ولكنك أيها الصديق وعلى العكس من ذلك .. تأتي إلينا على الدوام .. في كل يوم، وفي كل لحظة، ومع كل نسمة هواء، وومضة ضوء .. وبدون ميعاد مسبق، تقضي وقتاً معنا، وربما كل الأوقات .. في البيت والشارع، والمقهى والمسجد وفي كل مكان وزمان.

فهانحن لانزال نراك بشوشاً .. ودوداً .. حيوياً .. نقياً .. ثائراً .. طاهر القلب .. سامي الروح.

باسمك باسم سرنا خلفك، وأنت محمول على الأكتاف، وباسمك بكينا .. وباسم دموعنا سنظل نمضي على عهدك وباسم رغيف الخبز والمودة بيننا وباسم قلبك الجميل ونقاء صيرورتك .. وباسم روحك المسكونة بالنقاء .. بالتواضع، بالحيوية .. أن تظل قريباً منا .. من أوجاعنا .. من حدقات أعيننا .. من نبضات قلوبنا .. فأنت النبض، والنقاء، والذاكرة.

آه باسم كم كان قلبك الصغير يجمع فيه همومك وهمومنا وهموم العالم كله على الرغم من كونه يعاني من الضعف، وتتربص به الكثير من فيروسات هذا العالم المتناقض المشحون بالخوف والكراهية .. وهاشم الأكثر خبرة بفيروسات هذا العالم، ومع هذا ظل قلبك نقياً يتسابق إليه جميع محبيك .. وظل قادراً على البقاء .. وعلى المكابرة .. وتحمل نزق بعض الأصدقاء.

كنا على يقين بأنك ستعيش أكثر، وستمضي في رحلة العمر معنا إلى أن نغادر الدنيا نحن معشر محبيك .. لكنك أيها الباسم المتوثب .. فاجأتنا بالرحيل المبكر .. فثق إذاً بأنك ستظل بيننا دوماً وأبداً وأزلاً .. ستظل رفيقاً لنا .. ملازماً لأوجاعنا .. أسير قلوبنا .. وسنظل لك أوفياء .. تغمدك الله يا باسم برحمته وأسكنك فسيح جناته .. وأنزلك مع الصالحين والصديقين .. وأبقاك عريساً دائماً في جنة الخلد .. إنا لله وإنا إليه راجعون.